صورة المرأة في الشعر السوداني

منيرة أبومنقة محمد

وفدت إلى السودان شعوب مختلفة من جهات مختلفة وأجناس مختلفة وفي فترات مختلفة، وقد أدَّى ذلك إلى تغيير طابع السودان الزنجي الأصيل. وبدا هذا التغيير واضحاً في الشمال والوسط والشرق وكان أقل وضوحاً في الغرب ويكاد ينعدم في الجنوب. فقد عرف النوبة والبجة في السودان منذ العصور القديمة، ممَّا جعل بعض المؤرخين يعتبرونهم مشاركين الزنوج. ونزح بعد ذلك العرب والمصريون والأحباش. والتقت هذه الأجناس، وتمازجت بالتدريج حضارات الفراعنة والنوبة والزنوج مع حضارة العرب المسلمين، وتأثرت حياة الناس بهذا اللقاء، وكان أقوى هذه الآثار الأثر العربي والذي بدأ يظهر بعد دخول العرب السودان. وقد أثَّر هذا في تشكيل وجه الثقافة السودانية، حيث دخلت الثقافة العربية الإسلامية السودان وتسرَّبت في حياة أهله الاجتماعية بالاختلاط والتزاوج، وانتشرت اللغة العربية وثقافتها وآدابها. فجاء شعب السودان صياغة للإسلام وحضارته على المستوى البشري بتمازج العروبة والإفريقية كما يتمثل ذلك في العنصر البشري في معظم بقاع السودان. و صياغة للإسلام وحضارته على المستوى الثقافي انتهت بتمثل الثقافة العربية الإسلامية لكل العناصر الثقافية المحلية بحيث تأقلمت في البيئة السودانية. وهذا الانصهار البشري والتأقلم الثقافي والحضاري هو الذي أخرج الرجل السوداني المسلم الذي امتزجت فيه العروبة بالإفريقية، وهو الذي أخرج المرأة السودانية التي جاءت ملامحها مزيجاً من العروبة والإفريقية كذلك، تزداد الملامح العربية وضوحاً في الشمال والوسط والشرق وتقل في الغرب وتكاد تنعدم في الجنوب.إنَّ تأثر الشعب السوداني بالعربية

بدا واضحاً في جانب الأدب، حيث نشأ أدب سوداني يمكن اعتباره امتداداً للأدب العربي القديم على اختلاف درجة تأثر الشعراء السودانيين بالأدب العربي القديم باختلاف العهود التي عاشوا فيها. وقد كان للمرأة وجود في الأدب السوداني كما كان لها وجود في الأدب العربي القديم. وقد تنوعت صورة المرأة في الشعر السوداني، وسوف يتناول هذا المقال الصور المختلفة للمرأة السودانية (فيما يعرف بشمال السودان حالياً) في الشعر السوداني الذي نظم في الفترة من بعد المهدية حتى استقلال السودان، فهناك السودانية الأصيلة العفيفة، محبوبة وزوجة وأماً وأختاً وجارة، وهناك المرأة للذة والمتاع وإشباع الشهوات واللهو.

المرأة الحبيبة:

صورة المرأة الحبيبة هي أكثر الصور شيوعاً عند الشعراء في كل الشعر العربي والشعر السوداني امتداد له. فقد تناولها بعض الشعراء تناولاً معنوياً في عفة وطهارة، بينما تناولها البعض الآخر تناولاً حسياً واصفاً جمالها ومفاتنها، فالأولى هي صورة للمرأة السودانية الأصيلة الحبيبة وقد تكون الزوجة، بينما الثانية هي المرأة التي يريدها الرجل للهوه ولذّاته وإشباع رغباته.

فقد نجد الشاعر يناجي حبيبته في عفَّة وطهارة وبُعْدٍ عن الحسية والشهوانية، فيتغنى الحزن والشكوى من عدم وفاء الحبيب، من ذلك قول محمد المهدي المجذوب:[1]

(١) محمد المهدي المجذوب، نار المجاذيب، وزارة الإعلام والشئون الاجتماعية، لجنة التأليف والنشر، الخرطوم، ١٩٦٩م، ط١، ص ٢٩.

إحسانُ كمْ لكِ من طيفٍ يُقاسمُني دمعاً بدمعٍ وأشواقاً بأشواقِ
فهلْ بنفسكِ شيءٌ منْ تعطُّفه أم ذاك حُبيٍّ من ظني وإشفاقي

ويقول في نفس المعنى يوسف مصطفى التني:(٢)

أنا أهواك لأجل ذاتِكِ عَفَّا عنْ مرامٍ وراءَ ذاك ذليلِ
وأُضحِّي من أجل ذاتِكِ روحي وأنا غير طامع ببديلِ

وقد يتحدث الشاعر عن جفاء الحبيبة وصدودها ورغم ذلك يجد في هذا الصد راحةً وسلواناً، يقول المجذوب:(٣)

يا أيُّها الظَّبيُ الذي نظراتُه ما صوِّبت للقلب إلا أُثخِنا
أيَصِحُّ أنْ يّجْفو الذي يهواك يا حُسْنَ الجمالِ وكُنْهَه والموطِنَا
ملّكتُ قلبي للحسانِ صبابةً وشَربتُ مِنْ خمرِ المودةِ مُدْمِنَا
نَسِي المحبُّون الصبابةَ والهوى وقَلَوا نِداءَ قُلوبِهم إلا أنا

وقد يتلذذ الشاعر بصدود المحبوبة وعدم وصالها، يقول التني:(٤)

(٢) مصطفى التني، ديوان التني الصدى الأول والسرائر، القاهرة: مطابع الكتاب العربي، ط١، ١٩٣٨م، ص ١٥.
(٣) نار المجاذيب، ص ٢١٩.
(٤) ديوانه، ص ١٦.

اعبسي لي ففي العُبوسِ ابتسامٌ لجمالٍ منوَّعِ البسماتِ
وادفعيني ففي الصُّدودِ اقترابٌ مِنْ مَعَاني جَمالكِ الأشتاتِ
ايه وادعي عليَّ دون حنان فَدُعاءٌ عليَّ منك يواتي

ويقول التني في مكان آخر:[٥]

أيُّها الماطلُ وعدي حَرَدا أتُرَى أجْفُوكَ مِنْ أجلِ جفاك
كَيفَ أسْلُوكَ فإنِّي طائرٌ ما عرفتُ الخُلدَ إلا في ذُرَاك
سرَّني أسرُك إيَّاي فما أحسدُ الطيرَ وقَدْ جَازَ سَمَاك
ما الذي أطلبُ في الأفقِ فما وهجُ البدرِ بأشْهَى من ضِياك

وقد يبحث الشاعر من خلال هذه المرأة الحبيبة عن الألفة والمودة، وعن جمال الروح من خلال العطف والحنان الذي تسبغه عليه، من ذلك قول المجذوب:[٦]

أحببتُ وجهاً دميماً له خَلاقٌ جميلُ
وما الهَوَى غيرُ نفسٍ وفَاؤها لا يحولُ
أحببتُ قَدْرَ مَعاشِي ولي رجاءٌ طويلُ
والحبُّ عندي قَنْعٌ لا رِقَّةٌ ونُحولُ
فليعلمِ العاشِقُ الصبُّ م والمَشُوقُ العليلُ

(٥) المصدر السابق، ص ٤٧.
(٦) نار المجاذيب، ص ١٤٨.

أنِّي رعاني قَبيحٌ هو الحبيبُ الوصولُ
فلا نصيحٌ مريبٌ ولا حسودٌ عذولُ

فالمرأة الحبيبة هي الرفيقة والحنونة العطوفة هي "ربيع من الهدوء" وهي "غيمة من طهارة" وقد يقنع الشاعر منها بالشوق دون الوصال، كما يقول المجذوب:(٧)

عطفت (رِفْقةٌ) عليَّ فأنستني هُمُومي وكنتُ طِفلَ الهُمومِ
ملك أسمر تبسَّم فاستنقذ روحي من الأسى والغمومِ
غيمةٌ مِنْ طَهارةٍ وحياءٍ في رداءٍ مِنَ الصَّباحِ الوسيمِ
حنانٌ كأنَّه بسمةُ الأمِّ لطفلٍ عَن الرَّضاعِ فطيمِ
وربيعٌ من الهُدوءِ فما فيه م فراشٌ لزهره كالغريمِ
قد ترحلتُ عنك في رَحْلي الشَّوق وزادي من الرِّضا والنعيمِ

وقد أشار بقوله "أسمر" إلى واحد من أهم ما تتميز به المرأة السودانية وهو سمرة اللون. وهذا النوع من الحب يشبه الحب العذري حيث نجد فيه الشاعر يشكو ويألم، كما نجد فيه الحرمان والحزن العميق الممتزج بالعاطفة المحرومة، وقد نجد الشاعر ساهراً ومحبوبته تنعم بلذة النوم، وتبخل عليه بالتحية وتمعن في هجره حتى بات يتمنى دوام صدها، من ذلك قول صالح عبد القادر:(٨)

(٧) المصدر السابق، ص٢٠٢.

(٨) عواطف عمر عبد الله محمد، شعر الشاعر السوداني صالح عبد القادر: تحقيق ودراسة، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٩٨٠م، ص١٣٣.

وغـزالٍ همتُ فيه أسْهَرَ العينَ ونَامـا
مرَّ بي يوماً علـى م القرب وما قال السَّلامـا
ما كفاهُ الهَجْرُ حتـى حَرَمَ العينَ المنامـا
أوهن الصبـر فينـا ليت صدودا منه دامـا
باتَ مسروراً وقـد م بتُ كئيباً مستهامـا

وقد تأتي صورة المحبوبة صامتة، عابثة، ناقضة للعهود ولا ترعى الذمام مخيبة لظن محبوبها فيها، يقول صالح عبد القادر:(٩)

وحبيب مرَّ بي مـا اكتـرثا
خيَّب الظنَ وعهدي نكثـا
وبقلبـي فـي الهوى قد عَبَثـا

وقد تكون المرأة بالنسبة للشاعر هي الروح والملاذ والسلوى، يقدِّم لها أشواقاً مفعمة بكل ما يحمل من الحرمان والتعطش إلى الحب، مؤمِّلاً أن تشاركه عواطفه وتبادله حناناً بحنان، فتمسح دموعه وتنسيه أحزانه، ويصرخ بأن أي استجابة منها ولو تمثلت في بسمة ثغر أو لمحة طرف كافية لإزالة أحزانه، يقول محمد محمد علي:(١٠)

(٩) المصدر السابق، ص ١٣٥.

(١٠) محمد محمد علي، ألحان وأشجان، الخرطوم: شركة البلد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ط٢، ص ٤٨.

أظمأتني الحياةُ للمنهلِ الصا في وفي مقلتيكِ صفو الشرابِ
بدِّدي يا حبيبتي حَلَكَ الليـ ـل فقدْ عوَّق الظلامُ مآبي

وقد تكون المرأة في صورة العاتبة الزاجرة للشاعر الذي يعاني من الحب وعدم وصال المحبوبة، يقول محمد سعيد العباسي:(١١)

بكرتْ تُعاتبُ مَنْ بَكَرْ أسوان نضوَ هوى أسرْ
يا قوم ما بي ما يَسُو ءُ فما لهندٍ لا تُسرْ
قالتْ وقد نظرتْ لَما ألقاهُ مِنْ طُولِ السَّهرْ
لِمَ لا يزورك؟ قلتُ: را ضٍ زارني أو لَمْ يَزُرْ
يا هندُ هندَ بني العز يز وبنت ذي الطول الأغر
كُفِّي ملامَك واكْففي عني صواحبَك الأخر
ما أنتِ مسعدةٌ ولا أنا عن هواي بمنزجر

فالمرأة في تلك الصورة المعنوية لا تحمل ملامح مميزة، امرأة لا تحمل اسماً ولا شكلاً وطابعها التدلل والصدود، حيث لا تعنى بالاستجابة لزفرات الشاعر التي يتفطر لها القلب. ولا ينظر الشاعر إلى المرأة نظرة حسية فيهتم بوصف خصائصها الجسدية، بل من الشعراء من يحتقر من ينظرون إليها تلك النظرة كما يقول محمد محمد علي:(١٢)

(١١) محمد سعيد العباسي، ديوان العباسي، الخرطوم: الدار السودانية، ١٩٦٨م، ط٣، ص٦٤-٦٥.
(١٢) ألحان وأشجان، ص ٦٤.

أضعفوها وكالمتاع أرادوها كسولاً مصبوغة بدخان

ولعل هنا يظهر أثر البيئة السودانية، حيث يشير إلى ((الدخان)) وهو عملية تشبه حمام البخار تقوم به المرأة السودانية، حيث تجلس على حفرة توقد بالنار ويوضع عليها حطب " الطلح" المعروف برائحته الطيبة وتغطي نفسها جيداً بما يعرف بـ "الشملة" ويعمل الدخان المتصاعد من احتراق حطب الطلح على فتح مسامات البشرة وترطيبها وإكسابها لوناً أسمر. وقد وصف المجذوب الدخان قائلاً:[١٣]

وحُفرةٍ بِدُخانِ الطَّلْحِ فاغِمةٍ تُندي الروادفَ تليناً وتعطيرا
لمحتُ فيه – وما أمعنتُ – عاريةً تَخفي وتظهرُ مثل النجم مذعورا
مدَّتْ بناناً به الحناء يانعةٌ تَرُدُّ ثوباً إلى النهدين محسورا
قد لفَّها العطرُ لفَّ الغيم منتشراً بَدْرَ الدُّجى وروى عن نورها نورا
يزيد صُفْرتها لَعاً وجدَّتها صقلاً وناهدها المشدود تدويرا
أرخى الدُّخانُ لها ستراً فبعَّدها كدُرَّةٍ في ضمير البحر مسجورا
وشملةٍ غمرتْ ساقين وابتدرت كالموج تلمس جيداً رَفّ َمشهورا

إلى جانب الوصف المعنوي للمرأة، نجد بعض الشعراء وصفوا المرأة وصفاً حسياً فوصفوا محاسن المرأة، وهذا الوصف في أغلبه لا يخرج عما تعوَّد الشعراء القدامى ذكره، من ذلك قول العباسي:[١٤]

(١٣) نار المجاذيب، ص ٢٠٠.
(١٤) ديوانه، ص١١٣.

مرَّ يوماً عَليَّ ظبيٌ غريرٌ يَتَهادَى كغُصْنِ بَانٍ تَأوَّدْ
قُلتُ هلاَّ نزلتِ بالرحب مِنَّا نتناجى فقال لي لَمْ أُعَوَّدْ
صدَّ عني وما برحتُ أعاذ يه وأرقيه بالرصين المُجوَّدْ
قلتُ: عطفاً فقال: حسبُكَ مني أنَّ ذا آخرُ اللقا فتزوّدْ

ويقول محمد محمد علي يصف فتاة قروية وسحر جمالها الفطري وطريقتها الساذجة في الملبس والحديث:[١٥]

وأحلى من الكَرَمِ الحَاتِمي وما قد أصبتُ من المتعة
مراح فتاة بفجر الشَّبابِ تضيءُ عِشاءَ دُجَى الحِلَّة
يَرُوعكَ منها قوامٌ وصَدرٌ طوى الثوب عنه سنى الفتنة
ونهدان ما عَرِفا لامساً سوى نضحة الماء من قِرْبَة
وعينان من حُلُمٍ هامِسٍ غديران من غُدُر الجنة
حبتْها البَدَاوةُ من سِحْرِها فجاءتْ مثالاً مِن الرَّوعة

وقد يكون في الوصف أحيانا شيء من الإباحية على نحو ما نجده عند عمر ابن أبي ربيعة كما في قول العباسي: [١٦]

(١٥) ألحان وأشجان، ص١٣١.
(١٦) ديوانه، ص١٢٤-١٢٥.

مررتُ بالحي ضحىً أروض مهراً أدهما
مرتدياً من الشَّبا ب ضَافيا مُنَمْنَمَا
لقيتُه في أربعِ بِيضٍ كأمثالِ الدُّمَى
وقفتُ فاستسقيتُه وشدّ ما بي من ظَما
جاء بماءٍ قلتُ هَلْ حاجةُ مثلي مِنك ما
أنشدتُه من فاخِرَ الشِّعْرِ م رصيناً محكما
فرقّ لي مستسلماً ومال نحوي منعما
طويتُه طيَّ الرِّدا متَّعتُ من فَمٍ فما

وقد يرتبط وصف المرأة وذكرها عند بعض الشعراء خاصة الشعراء التقليديين منهم بمقدمات قصائدهم في النسيب والبكاء على الأطلال، كما كان يفعل شعراء العرب قديماً، من ذلك قول أحمد محمد صالح:[١٧]

لزينب ربعٌ ما يُجِيبكَ مُحولُ عفا بعد ما قد كان بالغيد يأهلُ
وأقفر من بيضٍ حِسَانٍ نَواعمٍ أوانسَ من أخلاقهن التدلُّلُ
وزينبُ دَعْجاءُ العُيونِ غريرةٌ لها لَحظاتٌ تَسْتَرِقُّ وتَقْتُلُ
خَدَلَجَّةُ السَّاقين خَمْصانةُ الحَشَا لها شَعَرٌ ضَافٍ وخِصْرٌ مبتَّلُ

(١٧) أحمد محمد صالح، مع الأحرار، الخرطوم: وزارة الإعلام والشئون الاجتماعية، ط١، ص١٣.

وخَدٌّ أَسيلٌ فوق جِيدِ غَزَالةٍ ورَدْفٌ إذا قامتْ يَنُوءُ ويَثْقُلُ
إذا ابتسمتْ فالأقحوانةُ نوَّرتْ وإنْ خَطَرتْ فالرِّيمُ في البيد يَجْفُلُ

وهذه صورة تقليدية محضة، ليس فيها تشبيه لم يتناقله الشعراء، وهو يستمد روحه من ذوق العربي الحسي الذي يعشق حبيبته في امتلاء الساقين وانبهار الأنفاس ذات ردف يمنعها من القيام والحركة، فهذه الصورة ليس فيها تميز ولا جديد. وقد علَّق حسن أبشر على هذا النوع من الغزل قائلاً: "أعجب لهؤلاء الشعراء المصلحين يدافعون بكل جارحة فيهم عن تعليم المرأة وإكرام إنسانيتها ويريدونها في شعرهم خائرة غريرة".(١٨) وإمعاناً في مجاراة شعراء العرب القدامى، نرى بعض الشعراء يكثر من ذكر (هند ودعد) في شعره كما في قول العباسي:(١٩)

ألا هل أتى هنداً ولا زال بالحمى مُلثٌ من الرضوان يَهمي على هند
ويا هندُ لا والله ما خنتُ عَهْدَكم ولكن ضروراتُ التجوُّلِ والبُعْدِ
وكَمْ قُلتُ في هندٍ ودَعدٍ موريِّاً وما أنا من هندٍ ولا أنا من دَعدِ

وإن كان ذكره "هنداً ودعداً" يكون تورية وإخفاء لما يريده في الحقيقة. ويذكر ليلى وهي من الأسماء المألوفة التي أكثر الشعراء العرب القدامى من ذكرها.

يقول العباسي:(٢٠)

(١٨) حسن أبشر الطيب، في الأدب السوداني المعاصر، بيروت: دار الفكر، الخرطوم، الدار السودانية، الخرطوم، ١٩٧١م، ط١، ص٦٤.
(١٩) ديوان، ص١١٥.
(٢٠) نفسه، ص١٣٢-١٣٣.

هَلْ مِنْ رسولٍ إلى ليلى فيبلِغُها عنـي تحيةَ إِعظامٍ وإكبارِ
لَمْ أَنْسَها إذ سعتْ نحوي تودِّعني أستودع اللهَ منها خيرَ مُختارِ
في ليلةٍ لم يَنَمْ إلا الخليُّ بها ألقتْ على الناسِ والدنيا بأستارِ
سعتْ إليَّ وفي لألاء غُرَّتِها نورٌ ذممت إليه الكوكبَ الساري
وردٌ حبتنا به الجنات مؤتلقا من صنعِ ربِّكَ لا من صَنْعِ آذار
وقد ظلمناهُ إذ جئنا نشبِّهه بفارةِ المِسْكِ أو بالمندل الداري
يا قبلةً ما أحيلاها بِهَمْهَمَةٍ فيها معاني ابنِ زيدون وبَشَّارِ
فَهَلْ لليلايَ أن تولي الجميل بها ولو كنغبة عصفورٍ بِمنقارِ

ويعد العباسي من أكثر الشعراء السودانيين الذين تأثروا بالشعر العربي القديم، فكان أكثر تصويره للمرأة مأخوذاً من الشعر القديم من ذلك قوله:[٢١]

هوايَ إنْ تَسْألوني ذاتُ الخِبَاءِ المُطنَّبْ
رمتْ فأصمتْ بسهمٍ أعْشَارَ قلبٍ مقلَّبْ
قد لاح لي ضوءُ صبحٍ من أفلجِ الثَّغْرِ أشْنبْ
يزيدُ في العين حسناً مهما قَلَى أو تَجَنَّبْ
كأنَّ بالثَّغْرِ منها بَرَقاً وبالكفِّ كوكبْ

(٢١) نفسه، ص١٤٣-١٤٥.

فهذه الصورة مأخوذة من الشعر العربي القديم وهي كثيرة الدوران في أشعار العرب قديماً. وليس فيها جديد أو ما يميز "المرأة السودانية" فهي ذات خباء مطنَّب، وقد رمته وأصمت أعشار قلبه بالسهم وهذا يذكرنا قول امرئ القيس: (٢٢)

وما ذرفتْ عيناكِ إلا لتضربي بسهميكِ في أعْشارِ قَلبٍ مقتَّل

وقد توصف المرأة بالطهر والعفاف والبعد عن الرذيلة كما قال العباسي:(٢٣)

نمرحُ في تلك الرُبا ربا الحسان الخُـرَّدِ
بيض النُّحورِ العين م أمثال الظِّباءِ الشُّردِ
الطاهرات الذيل إنْ رأين كَفَ مُعتـدِ
كأنّهـنَّ ربـربٌ رِيـعَ لصوتِ أسـدِ

لعل وصف العباسي المادي هذا دفعته إليه ظروف الحرمان والتزمت الشديد الذي عانى منه جيله عامة، ورفقاء العباسي خاصة، الذين نشأوا نشأته الدينية المتصوفة الملتزمة بقواعد أخلاقية صارمة في السلوك. وقد كانت البادية أحسن حالاً في الاعتراف بهذه العاطفة الإنسانية إذا قورنت بالمدن في ذلك الوقت، لأن الحياة تجعل اختلاط الفتيات بالفتيان أمراً مألوفاً ومقبولاً. فكان أكثر غزله في فتيات البادية ولكن لأنه ليس من البادية في الأصل، وهو ابن البيت الديني الكبير، لابد أن يلتزم بسلوك محدّد، لذلك كان أغلب غزله مادياً فيه شيء من المرارة والحرمان والوصف الحسي.

(٢٢) امروء القيس بن حجر، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد فضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، (ب ت)، ص١٣.
(٢٣) ديوانه، ص١١٠.

والوصف الحسي كثير في الشعر السوداني، حيث يصف الشاعر محاسن المرأة وجمالها من ذلك قول التني:[٢٤]

يا رعي اللهُ في صفوفِ العَذارى ذات قدٍّ كاللادن الأُملودِ
مَطمحَ العين والجوانح والحس م ورمز النهوض والتجديد
فاح نشر "الورود" لمَّا تجلَّتْ تَتهَادَى في ناصعاتِ البُرودِ

فهذه المرأة مع جمالها هي رمز النهوض والتجديد.

وكذلك قول حمزة الملك طمبل:[٢٥]

ما أحيلاه حين يَخطرُ في الغر فة مُستمهلاً بخير قُدود
ما أحيلاه حين يبسم عن ثغرٍ م شهيٍّ وطرفُه في هُجود
هو كالوردِ قد تجمَّلَ بالثغ ر والظُّرف لا بزاهي البرود

وقد يذكر بعض الشعراء بعض العناصر الجمالية التي تميز المرأة السودانية عن غيرها من النساء "كالشلوخ"، فالشلوخ ويسميها الشعراء "الفصادة" وهي عبارة عن جروح تخدِّد خدَّي الفتاة على الجانبين وتعتبر مظهراً من مظاهر الزينة والجمال بالنسبة للمرأة السودانية، لذلك يتغنى بعض الشعراء السودانيين بجمال الشلوخ، من ذلك قول التني الذي يرى أن هذه الشلوخ تزيد المرأة جمالاً حيث يقول واصفاً امرأة سماها "فينوس":[٢٦]

(٢٤) الصدى الأول، ص٤٩.

(٢٥) حمزة الملك طمبل، ديوان الطبيعة، المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون، الخرطوم: ط١، ١٩٣١، ط٢، ١٩٧٢م، ص١٧٧.

(٢٦) الصدى الأول، ص٩٤.

فينوسُ مَنْ ساقَ الجمالَ م مصوَّراً في زي غادةْ
يَضوي على قسماتها نورُ المَلاحةِ والفصادةْ
مثَّال قالَبك الفريد م له التفوق والسيادةْ
فأتيتِ محكمةَ الضوامرِ والمشارف والمَلادةْ
قد فُصِّلتْ آياتُ حُسـ ـنِكِ مثل حبَّاتِ القِلادةْ

كذلك أشار التجاني يوسف بشير إلى شلوخ المرأة التي تزيدها جمالاً، ويرسم ملمحاً من أهم ملامح المرأة السودانية في ذلك الوقت، يقول التجاني:[٢٧]

أجدُّ وتهزل فيما أجدُّ وتهربُ من وجهه أو تندْ
لهوتَ بقدسِ الهوى في القلوب م وأنكرتَ هيمنةَ المُسْتبدْ
يرفُّ عليه شبابُ الفنون م وتبرُقُ في وجنتيه الفِصَدْ

فهنا دلالة واضحة للتعبير عن الحسن في السودان، لأنه يميز محبوبته بأنها ذات فِصَد، وهي الشلوخ وهذا مما يميِّز الفتاة السودانية، وكذلك هو تعبير عن طبيعة الحب عند الفتاة السودانية في ذلك الزمان وهو الهروب من التجاوب مع هذا الحبِّ، ولا تظهر أنها جادة حتى تحافظ على وضعها الاجتماعي، لأن الحبَّ في المجتمع السوداني الريفي كان يعتبر عيباً، فيظل الحبُّ إحساساً تزينه حلاوة اللقيا التي لا تكون إلا صدفة وتشينه مرارة الحرمان ونفور المحبوبة، لذلك يدفن المحبُّ حزناً لا يستطيع إبرازه أو ذكره إلا في مثل هذه الأشعار.

(٢٧) التجاني يوسف بشير، إشراقة، بيروت: دار الثقافة، ط٥، ١٩٦٧م، ص٥٤.

وقد يذكر الشاعر المرأة السودانية رمز العطاء والخصب والخير والطيبة. فهي في كرمها غمامة تفيض بركة وتوفر العيش الرغد، يقول المجذوب:[٢٨]

وفي البُيُوتِ غماماتٌ أَفَضْنَ لنا ما رقَّقَ العيش من قمحٍ وألبانِ

فالمرأة المحبوبة هي أكثر صور المرأة وضوحاً وشيوعاً في الشعر السوداني، وهو في ذلك على نهج الشعر العربي القديم الذي أكثر شعراؤه من ذكر المحبوبة ومن وصفها وصفاً حسياً. وقد نجد أحياناً جانب القصص عند بعض الشعراء، كما هو موجود كذلك في الشعر العربي القديم خاصة شعر عمر أبي ربيعة، ومن ذلك قول العباسي يتحدث عن فتاته ومغامرته معها، يقول:[٢٩]

ما أنسَ لا أنسَ إذ جاءتْ تُعاتِبُني فتانةُ اللَّحْظِ ذاتُ الحاجب النُّوني
يا بنتَ عشرينَ والأيامُ مُقبلةٌ ماذا تُريدينَ من موعود خمسينِ
في ذمةِ اللهِ محبوبٌ كَلِفتُ بـه كالرِّيم جيداً وكالخيروز في اللين
يقول لي وهو يحكي البرق مبتسما يا أنتَ يا ذا وعَمْداً لا يسميني
أنشأتُ أُسْمِعُه الشكوى ويُسْمِعُني أُدنيه من كَبِدي الحَرَّى ويُدْنيني
أُذِرَّ في سمعِه شيئاً يلذُّ له قد زانه فضلُ إبداعي وتحسيني
فباتَ طوعَ مُرادي طول ليلته من خمر دارين أسقيه ويسقيني

(٢٨) نار المجاذيب، ص١٠٥.

(٢٩) ديوان العباسي، ص١٠٤-١٠٥.

إن صورة المرأة الحبيبة قد أخذت بعدين أو لونين، لون تقليدي ويأتي أغلب هذا النوع في مطالع بعض القصائد، وهو يسير على نهج الغزل التقليدي من حيث وصف المرأة المحبوبة ووصف جسدها ومحاسنها.

واللون الثاني تجنَّبَ الوصف الحسي وابتعد عن وصف مفاتن المرأة. وفي كلا اللونين لا نلمح إشارات محلية، ولا نرى ما يربطهم بالبيئة السودانية إلا نادراً. وقد ذهب بعضهم في ذلك مذهباً بعيداً حتى إنهم صاروا يحوِّرون الأسماء السودانية أو يتجاهلونها في أشعارهم ليشبِّبوا بـ "دَعْد وهند وزينب" وغيرها من الأسماء العربية القديمة التي لا وجود لها في الأرض السودانية في ذلك الوقت. ولعلَّ ذلك يعود إلى العقدة القديمة التي بذرها في أجيال السودانيين انحدارهم من أصل هجين تختلط فيه الدماء العربية بالدماء الإفريقية. وقد وجدت تلك العقدة متنفَّساً في نعرة التباهي بالماضي لتأكيد انتمائهم العربي وتثبيته، بالإضافة إلى إيجاد سند حضاري يثير في شعبهم الفخر القومي من التسليم والانهزام أمام زحف الحضارة الغربية بعد الحروب العالمية.

صورة المرأة الأم والزوجة:

رسم بعض الشعراء الصور المثالية التي يحسن أن تكون عليها المرأة الأم، يقول البنا مصوراً ذلك:[٣٠]

وضَعْ مع جمال الأم حُسْنَ خِلالِها تجدْ مَلَكاً بَرَّاً يَحِنُّ ويُرْضِعُ
مهاةٌ تُجيدُ القول ديناً وحكمة فيا من رأى الحسنى على الحُسنِ تُوضعُ

(٣٠) عبد الله محمد عمر البنا، ديوان البنا، تحقيق علي المك، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، ط٢، ١٩٧٦م، ص ٩١.

وتأنسُ بالقرآنِ في خَلَواتِها وتصبو إلى التقوى وتزكو وتَخْشعُ
تمثِّل بالمعنى الشريفِ فتنثني وقوراً عن الفعل الدنئ تَرفعُ
فتلك التي يبغي الكريمُ وِصالَها ويختارُها للعِرضِ منه فيودِعُ

فالمرأة التي يريدها الكريم لتكون أماً لأولاده مع جمالها متعلمة، تجيد الكلام وحكيمة تحسن التصرف وهي حسنة الأخلاق. اكتسبت هذه الأخلاق من قراءتها للقرآن، فهي تقية تتمثل بالقرآن والسنة في حياتها ومعاملاتها، وقورة تنأى بنفسها عن الرذيلة، فهذه المرأة هي التي تحافظ على عرضها وعرض زوجها، لذلك يدعو إلى الاقتران بالمتعلمات، يقول البنا:[٣١]

وعليك بالمتعلماتِ فإنمَّا ترجو ملائكةَ الجَمالِ وتَخطُبُ
القانتاتُ العابداتُ السايحـ ـاتُ المُسْتفزُّ كمالُهن المُعْجِبُ
يَجْرُرنَ أذيالَ العفافِ تَحَنُّفا فالرِّيبُ يَبْعُدُ والفضيلة تَقْربُ
ويرى بهنَّ الطفل في أطواره ما يرتضي بخلاله ويهذِّبُ
يغذُونه بالعلمِ قبل فِطامِه والعلمُ أقربُ للعَلاءِ وأجْلبُ
يغْضُضْنَ من أصواتِهن إطاعةً لله وهو بطوعهن يَرحِّبُ
يَقصِدن في مشي وفي عيشٍ وفي لُبسٍ وكُلُّ فِعالِهنَّ مُحبَّبُ
يرفعن من أزواجهن مكانهم والزوجُ يأسرُه المقالُ الطيِّبُ

(٣١) المصدر السابق، ص ٧٩.

فهذه المرأة المتعلمة، هي التي ستكون أماً صالحة وهي الزوجة الصالحة التي يتمناها الكريم العاقل:[٣٢]

تلك التي إنْ عاشرتْ فتنتْ وإنْ ولدتْ جنيناً لا مَحالة تُنجبُ
تلك التي بوجودِها نال العُلا وحوى المكارم كلَّهن المَعْزِبُ
تلك التي زرعتْ لأهلِ الغَربِ ما دان القصي به وكان المُغْرِبُ

وهذه المرأة المتعلمة:[٣٣]

هي كالحياةِ لُدنَفٍ أو كالحيا لمؤمِّلٍ لكنها هي أعْذبُ
هي كالحياةِ مُنَعَّمٌ بوصالِها ومُسهَّدٌ بصدودها ومُعذَّبُ
هي كالسعادةِ لفظُها متيسِّرٌ سهلٌ ومعناها قَصي أجنبُ
هي كالفضيلةِ مُتْعبٌ مُرتادُها تدنو ويدركها الدلالُ فتعزِبُ

ولأهمية تربية النشء يدعو إلى حسن اختيار المرأة الأم، يقول البنا:[٣٤]

والأم أولُ غارسٍ في النَّفْسِ ما ترضى به أو تبتلى وتُعذَّبُ
فعليك بالأمِّ الرَّفيقةِ إنَّها هي مُرشِدٌ ومُعلِّمٌ ومُهذِّبُ

فالأم هي المرشد والمعلم والمهذب لأبنائها، لذلك لابد من الاهتمام بتربيتها هي أولاً وبتعليمها حتى تخرج الجيل الصالح، فلابد من حسن اختيار الأم. وفي المقابل

(٣٢) نفسه، ص ٨٠.
(٣٢) نفسه، ص ٧٨.
(٣٤) نفسه، ص ٧٨-٧٩.

يدعو إلى هجر الجاهلات من النساء، لأن المرأة الجاهلة لا تخرج إلا أمة جاهلة فتخرب البلاد وتمتهن، والجاهلات جارهن مروَّع وأزواجهن مهدَّدون بالفقر، ودينهن مضيَّع وأطفالهن معفَّرون بالتراب يقول البنا:[٣٥]

واهجرْ سبيلَ الجاهلاتِ فإنمَّا ... بالجهلِ تُمْتَهَنُ البلادُ وتُخْرَبُ

هُنَّ اللَّواتي جارُهنَّ مُروَّعُ ... ممَّا يَقُلْنَ وقولُهنَّ مُكذَّبُ

هُنَّ اللواتي زوجُهنّ مهدّدٌ ... بالفقرِ ينفق مالَه أو يُنهبُ

هُنَّ اللواتي دينُهن مضيَّعٌ ... هُنَّ اللواتي طفلُهنَّ مُتربَّبُ

في الحقيقة إن قضية تعليم المرأة كانت من القضايا التي اهتم بها الشعراء. فقد كانت المرأة السودانية حتى أوائل القرن العشرين لا تتلقى التعليم المنتظم، وكان خروجها لتلقي العلم يعامل كمضيعة للوقت وينظر له كسلوك غير سوي. لذلك دعا الشعراء إلى تعليم المرأة باعتبارها مساوية للرجل في المجتمع وحجر الزاوية في بناء الأسرة التي هي أساس كل نهضة ورقي. وقد ازدادت الدعوة إلى تعليم المرأة خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، فأدخل الشعراء هذا الموضوع في دائرة اهتمامهم، فكتب عبد الله البنا هذه القصائد يناصر فيها تعليم المرأة مبيِّناً مساوئ جهلها ومحاسن تعليمها وتهذيبها. وقد أثارت هذه القصائد معركة بين أنصار تعليم المرأة والمشفقين عليها من العلم والحياة، من ذلك ما كتبه الشاعر حسيب علي حسيب ساخراً من أولئك الذين ملأوا الجو ضجيجاً بهذا الموضوع، وهو يرى أن هذا الحماس لا داعي له والأمة مثقلة بهموم كبيرة أخرى يقول:[٣٦]

(٣٥) نفسه، ص ٨٩.

(٣٦) في الأدب السوداني المعاصر، ص ١١٨-١١٩.

دعوا في خدرها ذاتَ الدَّلال فقد أرهقتُموها في الجِدالِ
رأيتُ شُعورَها الحسَّاسَ مُضني على هذا الجمود على المعالي
تذوبُ وقد تناظرتُم حياءً بفحشِ اللفظِ أو هَجرِ المَقالِ
ويعلو خدَّها خَفرٌ يُنادي ألا يا للنساء من الرجالِ
زعمتُم تعشقون لها صَلاحاً وظَنِّي أن ذا عشقُ الجمالِ
فإنَّ اسم البنات غدا حبيباً إلى الكتَّاب في العُصُرِ الخوالي
ألا لا فِيمَ أنتم والعذارى وإيراد السؤال على السؤالِ
أحُباً في مناجاة الغواني ترى أم ذاك زهدٌ في المعالي
بلى فالعلم عندهم كريم ولكن المتيم غير سال
دعوها فهي تؤلمها كثيراً سهامُ المصلحين بلا اعتدالِ

ويتغنى المجذوب بحب زوجته وأخلاقها غناء رقيقاً حاراً يشف عن صدق عاطفته. ومن خلال غنائه نرى سيدة سودانية أصيلة، وهي المعاد والملجأ، وهي ابنة العم تشوقها ديار أهلها فتصرِّح بذلك في رقة وحياء فيصبرِّها المجذوب عن محبة ضاحكة يقول:[٣٧]

وضوأَ عيني بَعْدَ أينٍ وظلمة من النيل ومضٌ ريَّقُ اللمحِ باردُ
وفي جانبي حِبٌّ أرى الشوق هاجَه وقد وضحتْ خلف الكُوَيْب المساجدُ

(٣٧) نار المجاذيب، ص١٥٥.

وشتان شوقانا فقد حنَّ قلبُها غريراً وشاقتني الهموم المواقدُ
يحدِّثني مستضحكاً وهو سافرٌ فهلْ غفلتْ عنه العيون الحواسدُ
أناديه صبراً دونك الرَّبع فاتئدْ كما تُحسِنُ الكتمانَ فيه الخرائدُ
ويخفِض عيناً ما رأتْ غير أعيني وليس له إلا بعينيَّ رائدُ
ولاذتْ بثوبٍ مُرهفِ النسجِ أبكمَ وإن نطقتْ فيما أغمَّ القلائدُ
وكم باتْ يُسقِيني من الشوقِ والهوى فكيف تَصبَّاني سواه الموارِدُ

فهي الزوجة السودانية المثالية في تقاليدها العريقة وهي شريكة الحياة في السراء والضراء، بل هي قسيمة العمر والنجي المساعد، يقول المجذوب:[٣٨]

وبلَّل ستر الليل دمعي تكفُّه قسيمة عمري والنجيُّ المساعد

صورة المرأة الأجنبية:

وقد فتن بعض الشعراء بالنساء الأجنبيات فقاموا برسم صورة لها وهي تصور مفاتنها وجمالها يقول التني:[٣٩]

حُمرةُ الخَدِّ أشعلتْ في فؤادي نارَ حُبٍّ لهيبُها في اندلاعِ
كلمَّا دَغْدغتْ تَزيدُ احمراراً فهي كالدُّرِّ بَعْدَ صَقْلِ الصَّنَاعِ
مُخملٌ نسجُه عقيقٌ ووَردٌ فهو زَهرُ الرُّبا وجَوهرُ قَاعِ

(٣٨) المصدر السابق، ص ١١٠.
(٣٩) الصدى الأول، ص ٨٦-٨٧.

اشتهي عُجْمةَ الرُّطانة فيه كتشهِّي الفطيمِ حُلوَ الرِّضاعِ
قُمقُمٌ روَّعتْ شياطينه الجِ نَّ وقد زَلزلتْ فُؤادَ الشُّجاعِ
إنَّ في شَعْرِكِ المُذهَّبِ معنى عَسْجدياً وفيه ذوبُ شعاعِ
يا لقلبي من الشِّفاهِ التي رَقَّتْ م ودّقَّت عليك دون اتِّساعِ
قلتُ من أبدعَ المفاتنَ هذي فأجابتْ في ضَحْكةٍ وتَداعي
أبدعتْها أمُّ الجمالِ "سويسرا" وسويسرا عظيمةُ الإبداعِ
أنبتتني كزهرةٍ في رُباها وكَستْني من ثلجها اللَّمَّاعِ

والتغزل بالمرأة الأجنبية مما أدخله الشعراء السودانيون في أشعارهم، فوصفوا حسنها وانطلاقها وقارنوا بينها وبين المرأة السودانية المتحجبة في ذلك الوقت، فقد فضّل بعض الشعراء المرأة السافرة على المحجبة، وكان وصفهم للمرأة الأجنبية تعبيراً عما استحدثته في المجتمع من أشياء كانت غريبة عليهم. فنجد مثلاً مدثر البوشي يصف إحدى الانجليزيات التي شاهدها تلعب التنس حيث يقول:[٤٠]

وغانية من التاميز تلهو رمتْ كرةً لتدفعَ عن حِماها
دنتْ ورنتْ فقالتْ "شط" حكم فسالت "شط" شهداً من لماها
فقلتُ بديعةٌ لما أصابتْ وتعدى بالبداعةِ من رَمَاها
كذلك تحكم الحسناءُ فينا متى لاحتْ ولوَّح معصماها

(٤٠) عبده بدوي، الشعر الحديث في السودان، ص٥٨٥.

المرأة الراقصة:

كذلك رسم بعض الشعراء صورة المرأة المتاع التي للذة والشهوة، فهذا التني يصوِّر لنا راقصة تتهادى بين معجبيها فيستمتعون بها حيث يقول:(٤١)

أينَ أنتِ لعينيَّ الكليلة أينَ شَاديك ونَغَماتُ جميله
كلمَّا يهدل باللحن مُرِنَّاً رجَّع الليلُ مع العود هديله
فتجلَّيت عن الحلبةِ مثل م البدر جلواء صقيله
وتثنَّت منكِ للعودِ على الإيقاع أعطافُ مثيله
وتدافعتِ كموج البحر أو كالنهر إذ سالَ مسيله
وترجرجتِ إلى أنْ زُلزلتْ أفئدةُ القوم وجيله
كمْ شَهِدنا لك في الكرِّ وفي م الفرِّ أعاجيبَ أفانين أصيله
لمْ تَدَعْ للناهدِ الريَّانِ غير م الرف والخلجان حيله
فإذا ما شدَّه الناسُ ترفقت م فأسبلتْ مآقيك الكحيله
وتراجعت إلى الصدر وقد م كلَّلك الإعجاب بالغار خجولة

وكذلك يقول التني في وصف راقصة أخرى:(٤٢)

(٤١) الصدى الأول، ص ١٠٧.
(٤٢) نفسه، ص ١٢٠.

لكِ من دافقِ الأُنوثةِ فيضٌ يتجلَّى في رقصِكِ الفَتَّانِ
يخلب اللُّب خِفةً واتزاناً فتعجَّب لخفةٍ في اتزانِ
حَركاتٌ مُنسقَّاتٌ تُريكَ الرقَّ صَ فنَّاً مُعبراًّ ذا معاني
كلُّ عضوٍ لها يُعبرُّ عن معنى تعيه من غير ما ترجمان

أحياناً يحذِّر الشاعر المرأة من غدر الرجال ومن أغراضهم الدنيئة فهم كالنسور يحومون حولها لينالوا من حسنها وجمالها فيقول التني في هذا المعنى:(٤٣)

حنانك بي واحرس جمالَك إنَّني من الأعينِ الظمأى عليك غَيورُ
إذا حوَّمتْ من حوله خلتُ أنها نُسورٌ تنوش القلب حين تدورُ
أُترمى بألحاظٍ جِياعٍ سقيمةٍ تلاحق فيك الحُسنَ حيث يسيرُ
وأنت على جهلٍ وحُسنِ طَويَّةٍ تُسَرُّ وأحْرَى أن أراك تَثورُ
تردُّ على كلِّ ابتسامٍ بمثله وفاتتْك أغراضٌ لهم وأمورُ
حَذارِ ولا تغررْك منهم ودادةٌ فكلُّ ودادٍ من أولئك زُورُ
وبعضُ صداقاتِ الأنامِ حبائلٌ وبعضُ ابتساماتِ الشِّفاهِ فُجُورُ
رأيتُ بعينيَّ الفَخَاخَ مُعدَّةً لحُسنِك فاحْذرْ والحكيمُ حذورُ
وإلا لهال الناس أنَّك عالمٌ وراضٍ بما ينوونه وقريرُ

(٤٣) نفسه، ص١٥٥.

المرأة القروية:

تحدث بعض الشعراء عن المرأة القروية وعن عاداتها وتقاليدها وصلتها مع زوجها وأولادها يقول المجذوب:[٤٤]

وأهاب الفحلُ بزوجتِه أمَّ السُّرَّة أمَ السُّـرَّة
ونداءُ الفَحْلِ يذوِّبها غَنَجاً تُخْفِيه فيَشْتعلُ
وأتتْ من دُوكَتِها تَسْعى تسأله ماذا يا رجلُ
وأراها الجِرْوَ فحركَّها عَجَباً في دهشته وجلُ
وتصيحُ وتجمعُ فِرْكَتَها وتَميلُ عليه وتعتدلُ

وهنا أيضاً يظهر أثر البيئة السودانية حيث يذكر الدوكة، وهي الصاج الذي ((تنضج)) فيه الكِسْرة. وكذلك الفِرْكَة وهي ثوب تلبسه المرأة السودانية.

وقد يتعاطف الشاعر مع نساء القرية ويراهن صورة حية لفساد المجتمع وظلمه بل لنفاقه وكذبه وصلفه يقول المجذوب:[٤٥]

يا جارتي في ليلِها الطويل
تذوبُ فوق طفلِها العليل
قومي إلى البصير
إشْفاه في كانونه الصغير

(٤٤) نار المجاذيب، ص ٣٤-٣٥.
(٤٥) المصدر السابق ص ١٣٦.

يكوي لثاتِ طفلِك العليل
يا أختَنا ما أنبلَ البصير
شاركَنا في الجهل بالمصير
يطيبُ من كلامِه السقيم
وعند ربِّنا الشفاء لا الحكيم
فربُّنا الحكيم

وقد يجد الشاعر عند النساء القرويات ما ينشده من سلوى وعزاء وأمل ورجاء، يجده من خلال بساطتهن وإيمانهن، يقول المجذوب:(٤٦)

يا جارتاي تؤمنان بالقضاءِ
والخيرِ والأجرِ من السماءِ
وتهتفانِ بالدُّعاءِ
ما لي عزاء
هلاَّ وهبتُما فؤادي العزاء
أُبْصِرُ في صفائه السماء

كذلك وصف المجذوب بائعة الفول فقال:(٤٧)

(٤٦) نفسه ص ١٣٤.
(٤٧) نفسه ص ٣١٨.

ورَبَّةُ الفُولِ على الطريقْ
سوادُها في عُمقِه بَريقْ
والعَرَقُ الغزير في نُعُومةِ السَّوادْ
رَّوقه النهارْ
في جرَّةٍ من شهوة تفورُ في الخَفاء
تفضحُها انفراجةُ الشِّفاه
لؤلؤة في ظلِّها بليل
***
والثَّوبُ لَفَّ رِدْفَها الثَّقيلْ
وذابَ عند خصرِها النحيلْ
والحلمتان حَبَّتان
مقليَّتان
والساعدانِ يَعملان يعملانْ
يلتقيانِ فوق زَورقٍ صغيرْ
يَعلمُ عن أنبائي الكثيرْ

كذلك نجد في بعض الشعر صورة المرأة العاملة في الحقل كما في قول الناصر قريب الله:[٤٨]

(٤٨) الشعر الحديث في السودان، ص ٥٨٣، نار المجاذيب، ص ١٣٦.

وفتاةٍ لقيتُها ثَمَّ تَجني ثَمرَ السُّنْطِ في انفرادِ الغَزالِ
تمنحُ الغُصْنَ أسفلي قدميها ويداها في صدرِ آخر عالي
فيظلُّ النهدان في خفقان الموج والكشحُ مُفرطاً في الهَزالِ
شاقني صوتُها المديد تُنادِي والعصافيرُ ذاهب الآمالِ

وكذلك يقول أحمد محمد صالح واصفاً إحدى الفتيات العاملات في الجزيرة:(٤٩)

يا نظرةً عرضتْ فحا لتْ بين جفني والهجودِ
في الجدولِ الرَّقراقِ ما بين الخَمائلِ والورود
تخطو وتحملُ جَرَّةً تلهو وتعبث بالنهودِ
ومضتْ تُضاحِكُ تربها فتُبِينُ عن عَذْبٍ بَرودِ
نظرتْ فلمَّا أنْ رأتْ شيخاً تقدَّم من بعيدِ
ورأتْ حِماري ظالعاً أعيا من المشي الوئيدِ
صدَّتْ وأخفتْ وجهَها ولوتَ بسالفةٍ وجيدِ

عرضنا في هذا المقال بعض الصور للمرأة في الشعر السوداني وهو عرض وصفي أكثر منه تحليلي نقدي، وقد رأينا أن صورة المرأة في الشعر السوداني قد تنوعت، فهناك المرأة المحبوبة وهي أكثر الصور بروزاً ولكنها لم تخرج عما تعوّد عليه

(٤٩) مع الأحرار، ص ٥٨٤.

شعراء العرب القدامى حتى في اختيار أسماء المحبوبة، ولم نجد فيها أثراً كبيراً للبيئة السودانية ، وهناك المرأة الزوجة والمرأة الأم كما تناول الشعر المرأة الأجنبية التي أعجب بها بعض الشعراء فوصفوها في أشعارهم إلى جانب وصفهم المرأة الراقصة.

المراجع

- أحمد محمد صالح (ب ت): مع الأحرار، وزارة الإعلام والشئون الاجتماعية، الخرطوم.

- امروء القيس بن حجر (ب ت): ديوان امروء القيس، تحقيق محمد فضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف.

- التجاني يوسف بشير (١٩٦٧): إشراقة، بيروت: دار الثقافة.

- حسن أبشر الطيب (١٩٧١): في الأدب السوداني المعاصر، بيروت: دار الفكر.

- حمزة الملك طمبل (١٩٧٢): ديوان الطبيعة، المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون، ط٢، الخرطوم.

- عبد الله محمد عمر البنا (١٩٧٦): ديوان البنا، تحقيق علي الملك، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، ط٢.

- عبده بدوي، الشعر الحديث في السودان. (ممزق الغلاف).

- عواطف عمر عبد الله محمد (١٩٨٠): شعر الشاعر السوداني صالح عبد القادر. تحقيق ودراسة. رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

- محمد سعيد العباسي (١٩٦٨): ديوان العباسي، الخرطوم: الدار السودانية.

- محمد محمد علي (١٩٩٨): ألحان وأشجان، الخرطوم: شركة البلد للطباعة والنشر والتوزيع.

– محمد المهدي المجذوب (١٩٦٩): نار المجاذيب، وزارة الإعلام والشئون الاجتماعية، لجنة التأليف والنشر، الخرطوم.

– مصطفى التني (١٩٣٨): ديوان التني – الصدى الأول والسرائر، القاهرة: مطابع الكتاب العربي.